مقالات فى كلـــات

للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة

كان عندنا مدرس (فاضل) ، يعلمنا الإنشاء ولا ينشىء ، ويريد أن يجعلنا كتاباً وما كان قط كاتباً ولا صاحب قلم ، وكان مما لقننا من مسائل هذا (الفن ...) ولم نستفد منه لأننا لم نعمل به ، أن القطعة الأدبية يجب وجوباً لا جوازاً أن تجىء فى أحد عشر سطراً ، فى كل سطر إحدى عشرة كلمة ، فإن زادت على ذلك فهو الإسهاب الممل الذى وصفه أهل البلاغة ، وإن نقصت فهو الإيجاز المخل ، وأن الموضوع إن انتشر على الكاتب واتسع كان عليه أن يأخذ من أطرافه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ولو بتر فى سبيل هذا النظام (الأحد عشرى) عضواً منه أو هدّر كتلة ، حتى يعود إلى حدّه ، ويدخل فى أحد عشر سطراً لا تزيد ، وإن ضاق عن ذلك وكان فى أقل منه مجزأة ودلالة على القصد ووفاء بالمرام ، كان على الكاتب أن ينفخ الموضوع حتى يكبر ، أو يركب له فوق أعضائه أعضاء أخر ، ولا بأس أن يخرج مخلوقاً مشوهاً عجيباً ...

لقد مرّ على هذا المدرس دهر طويل ، وأكبر الظن أنه قد ذهب إلى رحمة الله ، ولكنى كلما عرضت لى فكرة لا تبلغ أن يكتب فيها مقال ذكرته ، فأنا أضيع صوراً وخواطر كثيرة لأنها تجىء فى الجلستين أو الثلاث ولا تؤلف مقالا ، ومن حقها علىّ وحق القراء ألا أضيعها ، وأن أدونها كما هى ...

لذلك فتحت هذا الباب (مقالات فى كلمات) أطرقه كلما تجمع لدىّ من هذه الكلمات ما يصلح للنشر:

ردوا علينا فننا

كنت أجوز أمس سوقاً فى حىّ بلدى من أحياء القاهرة ، أسرع الخطو لأنجو من هذا البلاء الذى يأخذ بالعين والأنف والأذن ، قذارة ورائحة مزعجة وضجة مدوّية ، وفى بعض هذا ما يهرب منه ، وإذا بى أسمع صوتاً تيقظت له روحى وتنبهت أعصابى ، صوتاً منبعثاً من قهوة هناك ذكرنى أيامى الخوالى وبلدى ومجالس لى فيه . واشوقاه إلى هذه المجالس ! صوتاً أبصرته يطفو على وجه هذه الأمواج العاتية من ضجة السوق وصراخ الباعة ، يرقص نورانيا ، ثم يذهب فى جوانب السوق القذرة فيغسلها ، ويطهرها ويحيلها جنة شمت عبيرها ، ورأيت وردها ، وسمعت تغريد بلابلها ، ذلك الصوت هو (دور) قديم للصفتى طالما سمعته فلم أملّه ، ولم تبل فى أذنى جدّته ، هو دور (يا الله اصلح الحالى) الذى يقول فيه ، يصرخ صرخة متألم محروق (أنا على نار فى انتظار مطلوبى) و (يا اللى عليك العين تبكى أشوفك فين) يرددها وما أحلى ذلك الترداد إذ يقلب فيه الأنغام والقلوب ، وهذا هو سرّ فننا ، وفيه براعة المغنى من مغنينا ، أما الغافلون فيحسبونه ترداداً نمطياً ، وقولا معاداً ، وهو السحر ، وهو الفتنة ... لقد نسيت منه السوق ، ونسيت يومى ، وعشت مع هذا العاشق الذى تبكى عينه على حبيب لا يدرى أين مقره ومثواه . وأبصرت مأساته ، ولمست جرحه الدامى ، وأحسست دمه الآنى .

يا ناس ، افهموا عنا ، وسلوا قلوبكم ، ودعوا التقليد ، فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن ، فالفن لعمر الفن ما كان عالمياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم . إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم ، ولكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً . يا ناس ، هذه أغانينا ، لا ما تنقلونه الينا من هناك . إنها لنا وحدنا . إنها ألفت من خفقات قلوبنا ، وأشواق محبّينا ، وزفرات عشاقنا ، ودموع آلامنا ، ودماء أكبادنا . ألا ترون المغنى ينطلق بها صوته حراً ممتداً ، على حين ترى أصحاب هذا الفن (الجديد) ، يغنون ملوية أشداقهم ، يعتصرون الحناجر اعتصاراً ، فيخيل إلىّ وأنا أسمع منهم (آه ...) وهم يرجعون ألفها ، أنى أمام نفساء تصرخ من آلام الوضع !

أليس حراما عليكم يا أيها الموسيقيون ، أن تحرمونا هذه المتعة بفننا الذى هو لنا ، وأن تأتونا بكل غريب عنا ! ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرقى الأصيل ؟ أنسيتم كيف هتف السامعون فى كل قطر عربى لصوت (على بلد المحبوب ودينى) لأنه لحننا ، ومعانيه معانينا التى نحس بها ؟ ما لنا وللجندول

وأهل الجندول؟ ما لنا ولأنغام الإفرنج التي لاطعم لها في حلوقنا ؟!
إن كان لا بد من تجديد . فهاتوا مثل تجديد سيد درويش !

أما إنني قد أعجب بعبد الوهاب ، ولكني أطرب لدور الصفتي أما الطرب الحق الذي يهز نفسي ويبلغ قرارتها ، فللعتابا الشامية ، والأبوذية البغدادية ، وهذه الأغاني البلدية المصرية !

أي والله وقولوا عني ما شئتم !

لذة الخمول

إن من دأبي كلما هبطت بلداً لا أعرف فيه ، أن أجوب طرقاته وأضرب في سككه على غير هدى ، أمشي حيث يدعوني بصري وتحملني رجلاي ، وكلما رأيت مشهداً استوقفني وقفت عليه ، أستمتع بالجديد ألقاه ، ولا يلقاه الناس جديداً لطول ألفتهم إياه ، وأعجب من الأمر لا يعجبون منه ... لذائذ خصصت بها من بينهم وحدي !

وأختزن هذه الصور في موضع الذكريات من نفسي إلى يوم الحاجة إليها ، كما يدخر مصور السينما ما يصور من المشاهد ليضعه في مكانه من (الفلم) .

وسر المتعة في هذا التطواف أني أرى الناس ولا يرونني ، لأن جهلهم بي يصرفهم عن الانتباه إليّ ، فأكون كمن يلبس (طاقية الإخفاء) فيحس الحرية والانطلاق وأنه هو وحده مكافٌ لهؤلاء الناس كلهم ، وتلك هي لذة الخمول والنكارة ، وإنها لأكبر من لذة الشهرة . ولأن أمر في الطريق لا يعرفني فيه أحد أحب إليّ من أن يشير بإصبعه إليّ كل واحد ، وإذا كان الرجل المعروف يزهى وينتفخ فإنه يتقيد ويتضايق إذ يحسّ أنه مراقب ، تعد عليه أنفاسه ، وتحصى حركاته وسكناته ، وإن المجهول المغمور أهدأ منه بالا ، وأسعد حالا ... فلا تحسدوا أهل الشهرة على شهرتهم ، بل اغبطوا أهل الخمول على خمولهم ...

مجلة أوتوماتيكية :

من أعجب ما رأيت في مصر ، وما أكثر عجائب مصر ، مجلة لا يدري صاحبها من أمرها إلا أن يرسل الورق إلى المطبعة وأن يدفع الحساب ، أما الكتابة فيها وإعداد مقالاتها فيقوم به صاحب المطبعة بالمقص ، فهو يقطع من الجرائد والمجلات والرسائل ما يراه يصلح لها ، والمنضد يصف حروفه ، والطابع يطبعه ، ثم ترسل المجلة إلى المشتركين والباعة ، وأعجب من هذا كله أن صاحبها المكتوب اسمه في رأسها بالقلم الجلي لا الثلث ، لا يقرؤها ولا يطلع عليها أبداً ، ولا يحاول أن يعلم ما الذي نشر فيها ...

... والناس يسمونه صحفياً ، وأديباً ، وكاتباً ، ووزارة المعارف — فيما سمعت — تشتري من مجلته أكثر مما تشتري من مجلة الرسالة مثلا ... ويقال بأن هذا العصر عصر الحقائق ، لا عصر التدجيل !

التطبيع :

التطبيع : هو الخطأ المطبعي كما سماه الأديب الضليع واللغوي المحقق، الذي لم يسم عضواً في المجمع اللغوي في مصر، النشاشيبي .

وإن في قلبي من التطبيع لحزات وغصصاً ، أكتب المقالة وأبعث بها إلى المجلة ، فتجيئني وقد حرفت فيها الكلمات وصحفت ، وبدلت وغيرت ، وزلزلت عن مواضعها وزحزحت ، وأتى بما لا يخطر لي على بال ونسب إليّ ووضع عليه اسمي ، ولو عرفت العامل الذي صنع بي ذلك لأخذت بخناقه ، ثم لم يشف غيظي منه إلا أن أنزل عليه ركلا ولكما ، ولكني لا أعرفه ولا أناله ، فليعلم ذلك القراء ، حتى إذا استشكلوا شيئاً أو وجدوا خطأ قدروا الضمير المستتر فيه إلى العامل قبل إعادة الضمير فيه إليّ، أو سألوني عنه قبل أن يأخذوني به .

القاهرة — علي الطنطاوي

تصويب

وقع تطبيع في مقالة (كلمة لا بد منها) في العدد ٦١٥ من الرسالة وهو :

الخطأ	العمود	السطر	الصفحة	الصواب
ردّه	٢	٢	٣٩٢	ردّ
يثنعوا	٢	٩	٣٩٢	يشفق
يخرج	٢	٩	٣٩٢	لا يخرج
فلا ينشر	٢	١٢	٣٩٣	ينشر
نسل	٢	١٣	٣٩٣	نصل إليها